

ووجه إكبارنا لهذا التفسير أن قائله يجب أن يكون عالماً بأن الخالق جل شأنه خلق الانواع الحية، وألهم كل نوع منها ما به حياته وكماله، وخلق الإنسان وهو أكرمها عليه، وفطره من الصفات والميول على ما به بقاءه وارتقاؤه، ووصله إلى الغايات البعيدة، ومن هذه الميول أخباته لخالق الكون، وتحري محابه ومكارهه، ليصل إلى ما يشعر به من سعادة الاتصال به، واللياذ بجنابه، أخباتاً خالصاً من الاشرار والتجسيدات، منزهاً عن التأويل والتحديد. وقوله (صلى الله عليه وسلم): وإنما ابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، يشعر بأن الدين الحق لا يلحق تلقيناً، وإنما يشعر به شعوراً، فإن كان لابد من تلقين فهو ما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو إليه من أن الدين هو الفطرة الخالصة من الشوائب، وأنها هي الإسلام، إلى الاستسلام إلى إرادة الله، والتخلق بكل ما يثبت أنه خالق بالإنسان من الصفات الحميدة، والحالات الشريفة.

فهذا الإدراك لمعنى الدين ليس من نوع ما كانت تحوم أرقى العقول البشرية حوله في بلاد العرب، ولا في أية بقعة من بقاع الأرض، ولم يحن مقيساً على عقلية الناس الذين عاصروا صدوره، ولا على عقلية الذين سيخلفونهم بعد قرن أو عدة قرون، ثم يزول، ولكن جاء مطلقاً ليخلد خلود الحقائق العلمية، ويؤتي ثمرته للأجيال الخالفة أضعافاً مضاعفة ما آتاه للذين جاء على عهدهم، فهو حجة الإسلام الخالدة، ووصفه المميز، ودليله القاطع على أنه خاتمة الأديان، وأنه أقصى ما يبلغه العقل من عرفان مصدره، وعوامل شيوعه. نقف هنا اليوم، ونرجو أن نجول جولات أخرى في تقدير الشخصية المحمدية، وهيئات أن نبليج كل ما نريد.